

تفسير البغوي

86 - { قال } يعقوب عليه السلام عند ذلك لما رأى غلظتهم { إنما أشكو بثي وحزني إلى الله } والبئث : أشد الحزن سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يثبته أي يظهره قال الحسن : بثي أي : حاجتي .

ويروى أنه دخل على يعقوب جار له وقال : يا يعقوب مالي أراك قد تهشمتو وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ؟ قال : هشمني وأفنا نبي ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه : يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي ؟ فقال : يا رب خطئه أخطأتها فاغفرها لي فقال : قد غفرتها لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله .

وروى أنه قيل له : يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك ؟ .

قال : أذهب بصرى بكائي على يوسف وقوس ظهرى حزنى على أخيه ؟ .

فأوحى الله إليه : أتشكوني ؟ فوعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى .

فبعد ذلك قال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فأوحى الله إليه : وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لأخرجتهما لك وإنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة / فقام ببابكم مسكين فلم تطعنوه منها شيء وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاماً وادع إليه المساكين .
فصنع طعاماً ثم قال : من كان صائماً فليفطر الليلة عند آل يعقوب .

وروى أنه كان بعد ذلك إذا تغدى أحد من ينادي : من أراد الغداء فليأت يعقوب وإذا أفتر أحد من ينادي : من أراد أن يفطر فليأت يعقوب فكان يتغدى ويتعشى من المساكين .
وعن وهب بن منبه قال : أوحى الله تعالى إلى يعقوب : أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة ؟ قال : لا يا إلهي قال : لأنك قد شويت عناقاً وقررت على جارك وأكلت ولم تطعمه .

وروى : أن سبب ابتلاء يعقوب أنه ذبح عجلاً بين يدي أمه وهي تخور .

وقال وهب و السدي وغيرهما : أتى جبريل يوسف عليه السلام في السجن فقال : هل تعرفني أيها الصديق ؟ .

قال : أرى صورة طاهرة وريحانة طيبة .

قال : إني رسول رب العالمين وأنا الروح الأمين .

قال : فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين ؟ .

قال : ألم تعلم يا يوسف أن الله تعالى يطهر البيوت بتطهير النبيين وأن الأرض التي يدخلونها

هي أظهر الأراضين وأن الله تعالى قد ظهر بك السجن وما حوله يا طهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين .

قال : وكيف لي باسم الصديقين وتعدنى من المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين وسميت باسم الفاسقين ؟ .

قال جبريل : لأنك لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك لذلك سماك الله في الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآباءك الصالحين .

قال ي يوسف : هل لك علم بيعقوب أيها الروح الأمين ؟ .

قال : نعم وله الله الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم .

قال : فكم قدر حزنه ؟ .

قال : حزن سبعين شكل .

قال : فما زاد له من الأجر يا جبريل ؟ .

قال : أجر مائة شهيد .

قال : أفتراني لاقيه ؟ .

قال : نعم فطابت نفس يوسف وقال : ما أبالي بما لقيت إن رأيته .

قوله تعالى : { وأعلم من الله ما لا تعلمون } يعني : أعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون .
روي أن ملك الموت زار يعقوب فقال له : أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته هل قبضت روح ولدي في الأرواح ؟ قال : لا فسكن يعقوب وطماع في رؤيته وقال : وأعلم أن رؤيا يوسف صادقة وإنني وأنتم سنسجد له .

وقال السدي : لما أخبره ولده بسيرة الملك أحسنت نفس يعقوب وطماع وقال لعله يوسف فقال : يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه .

وروي عن عبد الله بن يزيد بن أبي فروة : أن يعقوب عليه السلام كتب كتابا إلى يوسف عليه السلام حين حبس بنيامين : من يعقوب إسرائيل الله بنى إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد : فإننا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي إبراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا : قد أكله الذئب فذهب عيناي من البكاء عليه ثم كان لي ابن وكان أخيه لأمه وكانت أتسلى به وإنك حبسته وزعمت أنه سرق وإننا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن ردته على وإلا دعوت عليك دعوة تدرك الساق من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعييل صبره فأظهر نفسه على ما نذكره إن شاء الله تعالى